(إلى ميدان التحرير ائتنا!!) [١]

إن الحمدَ لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله مِن شرور أنفسنا ومِن سيئات أعمالنا، مَن يهده اللهُ فلا مُضلّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠].

أمّا بعدُ؛ فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد -صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم-، وشرّ الأمور محدثاتها وكلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة وكلَّ ضلالة في النار.

أمّا بعدُ:

فقد قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في الرد على البكري: (وأئمة السنة والجماعة، وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة؛ فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدع ويعدلون على مَن خرج منها ولو ظلمهم كما قال الله -تعالى-: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨].

ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم لا يقصدون الشرُ لهم ابتداءً بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان مقصدهم بذلك بيانَ الحق ورحمة الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العُليا).اهـ

فهذا مقصد أهل العلم والإيمان وهذا غرض أئمة السنّة والجماعة في الرد على المخالف وفي تقويم عِوَج المُعْوَج وفي إقامة مَن زاغ عن الصراط المستقيم على المَحَجَّة البيضاء، هذا غرضهم؛ ففيهم العِلم والعدل والرحمة.

وهاهنا -كما في (ملف الجزائر)- حتى يُيسر اللهُ كتابة (ملف مصر)، الله -وحده- يعلم أنني ما تكلمتُ تتبعًا للعورات ولا تفكهًا بالسوءات ولا طلبًا للنزال ولا حُبًا في الجدال ولا نصرةً لأنظمة الباطل

١- خطبة الجمعة ٢٨ من شعبان ١٤٣٢هـ الموافق ٢٩-٧-٢٠١١م لفضيلة الشيخ محمد سعيد رسلان -حفظه الله-.

ولا خذلانًا للقائمين في وجه الصائل، ولكنني رأيتُ شباب الإسلام في زهرة عمره وقوة نشاطه أقبل على العلم وربما ضاقت عليه دياره حتى هان عليه مفارقتها كالنحلة ترحل إلى المكان السحيق لترجع إلى خليتها بالرحيق، وكلما لاحت عليه مخايلُ النَّجابة مُدت إليه يدٌ عجلى لتقطع عنه الطريق.

ولابد -والحالة هذه- من تبيان منهج السلف -عليهم من الله رضاه بما لا مطمع في ترك حماه- وربط الأمّة بعلمائها عصمةً لها من أن يسوقها الرويبضة سوق النِّعاج إلى حتفها، وربط الأمّة بعلمائها عصمةً لها من أن يسوقها الرويبضة سوق النِّعاج إلى حتفها، والله المستعان وعليه التكلان.

إنَّ الفرج إنما يُصطاد بشباك الصبر، وما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، ما عند الله لا يُنال بمعصيته، والخير لا يأتي إلا بالخير، لا يأتي الخيرُ بالشر كما أجاب بذلك رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وسلم- عن سؤال مَن سأله: أيأتي الخيرُ بالشر؟! قال: (**لا يأتي الخير إلا بالخير**).

ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته كما أخبرنا النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في الحديث الثابت عنه الذي أخرجه أبو نُعيم في الحِلية لمّا جاء جبريل إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فعلَّمه؛ فعلَّم الأمّة إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها: (**إن روح القدس نَفَثَ في روعي أنه لن تموتَ نفسٌ حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فلا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، اتقوا الله وأجملوا في الطلب؛ فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته**).

العزة والرفعة، الخروج من الضعف والمذلَّة، تحصيل القوة من بعد الضعف، وتحصيل العز من بعد الذل، كل ذلك لا يكون إلا بطاعة الله واتباع مصطفاه -صلى الله عليه وآله وسلم-.

ومهما جانب القومُ هذا الطريق كانوا سائرين على غير طريق، وكانوا مبتعدين عن الغاية، وكانوا موغلين في بيداءَ مُهلكة وهؤلاء يقودون الأمّة إلى حتفها حتى تُذبح ويُذبح أبناؤها ذبح النِّعاج يصدرون بغير رأي ويتحركون بغير عقل؛ لأنه ليس معهم أثارة من علم ولا حقيقة من اتباع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فإلى الله المشتكى.

ومثلُهم كمثل الرجل الذي ظل يبحث عند أحد أعمدة الإنارة تحت مصباحه في الأرض يفحص ترابها، فجاءه الشرطيُ فقال: ما تصنع؟! قال: أبحث عن مِفتاح بيتي. قال: وفقدته ها هنا؟ قال: لا فقدته ثَمَّةَ. قال: ولم تبحث عنه هاهنا؟! قال: لأن المكان هاهنا مُضاء.

لم يفقده هاهنا ولكنه يبحث عنه حيث يمكنه أن يبحث عنه لا حيث يجب عليه أن يبحث عنه ولو ظل باحثًا عنه إلى يوم القيامة ما وجده!

فكذا القوم يبحثون عن الحق والخير حيث يمكن هم أن يبحثوا عنه لا حيث يجب عليهم أن يبحثوا عنه؛ لأن في الطريق مشقة وفي الصراط وعورة وفي الاتباع بعضُ العَنَت؛ في مجتمعٍ قد مرجت عهود أهله وصاروا هكذا كما قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فالقوم يستسهلون!

والنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: ولكنكم قوم تستعجلون.

لا تستعجلوا؛ فإن الأنَاةَ والحِلمَ، وإن التُّؤَدَة والصبر لا يأتي ذلك كلُّه إلا بالخير.

وقد أخرج البخاري -رحمه الله- في الأدب المفرد -وهو في صحيحه أي في صحيح الأدب المفرد- عن الحسن البصري -رحمة الله عليه- أنّ رجلاً كان له غلامٌ ومولَى فحضرته الوفاة فأوصى مولاه بغلامه فقضى فقام مولاه على ما اؤتمن عليه رعايةً وحفظًا حتى أدرك، فزوجه ابنته فقال له الغلام وقد صار شابًا: إني أريد أن أرحل في طلب العلم، فزوده، فرحل، فلقي عالمًا فقال: عَلِّمني، فقال: إذا أردتَ الرحيل فأعلمني أعلمك، قال: قد حضرت الرحلةُ الآن، قال: **اتقِ الله واصبر ولا تستعجل**.

فرجع بهن -بثلاث كلمات: اتقِ الله واصبر ولا تستعجل- فرجع، فأناخ راحلته، فدخل بيته، فوجد امرأته نائمةً، ووجد رجلاً نائمًا عندها مُتراخٍ عنها -أي بمبعدة منها-؛ فقال: هذا لا يُصبر عليه! فرجع إلى رحله فاستلَّ سيفه من غِمْدِه وأراد أن يمضي إليه ليجهز عليه فطنَّ في رأسه قولُ عالمه: اتقِ الله واصبر ولا تستعجل، فأغمد سيفه ورجع فوقف على رأس النائم، فقال: هذا لا يُصبر عليه! ومسَّه لَزْعُ الغيرة بجمرها فرجع أراد أن يأخذ سيفه فتذكر قول العالم: اتقِ الله واصبر ولا تستعجل ثلاث مرار حتى وقف على رأس الرجل فانتبه، فقام إليه، فالتزمه وقال: كيف أنتَ؟ وما أصبتَ من بعدي؟ قال: أصبتُ من بعدكَ ما حجزني الله بكَ، وقد اختلفتُ بين السيف ورقبتكَ ثلاث مِرار فحجزني الله -تبارك وتعالى- عنكَ بما علَّمنيه: اتقِ الله واصبر ولا تستعجل.

قال رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وسلم- لخبّاب وقد جاء إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وقد تَوَسَّد بُرْدَهُ في ظل الكعبة، وخبّاب قد جُعل الجمر المحمي في النار على ظهره فما أطفأه إلا الوَدْكُ -أي الدهن يسيل من ظهره، والأجواء مُعَبَّقَة بلحم شواءٍ حي من لحم خبّاب -رضي الله عنه- قال: يا رسول الله ألا تدعوا الله لنا، ألا تستنصر لنا.

كان متكئًا فقعد -صلى الله عليه وآله وسلم- وذكر ما كان من أحوال مَن قبلنا: (**إنّ مَن كان قبلكم كان الرجل منهم يُمَشَّط بأمشاطٍ من حديد ما بين لحمه وعصبه وعظمه ويُؤشر بالمئشار -أي بالمنشار- من مَفْرِق رأسه إلى أَخْمَصِ قدمه حتى يصير بنصفين**)، يقول رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-:

(وليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخشى إلا الله والذئبَ على غنمه ولكنكم قومٌ تستعجلون).

أخرج ابن سعد في (الطبقات) وابن أبي حاتم في (تفسيره) والآجري في (الشريعة) عن الحسن -رحمه الله- قال: (لو أن الناس إذ ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا، ما لبثوا أن يُفرَّج عنهم ولكنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فو الله ما جاءوا بيوم خير قط! ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**﴾ [الأعراف:١٣٧].

كان فرعونُ أكفرَ أهلِ الكفر! قال: ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري. ولم يقنع بدعوى الألوهية حتى ادعي الربوبية، قال: أنا ربكم الأعلى!

وأما فساده وإفساده، فقد قال عنه ربنا -جلَّ وعلا- : ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص:٤].

وعن طغيانه وفساده وظلمه، قال ربنا -جلَّ وعلا- عنه: ﴿**قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾ [الأعراف:١٢٧].

ومع ذلك كله أمر موسى -عليه السلام- بني إسرائيل بالاستعانة بالله -رب العالمين- وبالصبر. ﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأعراف:١٢٨].

(**اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**) ردّ بنو إسرائيل على موسى بقولهم: (**أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا**) فردّ موسى -عليه السلام- قائلاً: (**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**).

وكانت عاقبةُ صبرهم ما قال الله -جلَّ وعلا- : ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**﴾ [الأعراف:١٣٧].

بما صبروا على دينهم، وعلى عذاب فرعون أي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من فرعون وقومه.

وحسبكَ بهذا حاثًا على الصبر ودالاً على أن مَن قابل البلاء بالجزع وكله الله -تعالى- إليه، ومَن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج.

إنَّ الناس إذا ابتلوا من قِبل سلاطينهم ففزعوا إلى السيف وُكلوا إليه ولا والله ما وجدوا خيرًا قط! في يومٍ أبدًا كما قال الحسن -رحمة الله عليه-.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في (مِنهاج السنة): (والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها وهذا شأن الفتن كما قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥].

وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا مَن عصمه الله)اهـ.

شأن الفتن أنها إذا وقعت فأُججت نيرانها وأُزكيت بحطامها لم يستطع العقلاء بعد أن يكفوا سفهاءهم عن الوقوع فيها متهافتين عليها تهافت الفراش على النار.

إنهم يقلقلون القاعدة الشعبية؛ فإذا انفلت زمامُها لا تُرد، إنهم يهيجون الشباب باسم الإسلام ويخرجونه باسم الجهاد في سبيل الله ويدعون -كذبًا- أن مَن مات خارجًا مات شهيدًا وهم في ذلك كاذبون مُدلسون مُلبسون!

إذا خرج هؤلاء الشباب، ورأى شيوخهم أنّ من الحكمة أن يتوقفوا لم يتوقف مَدُّ مَن أخرجوهم حتى يكتسحهم هم، والشاهد القائم اليومَ في الصومال؛ فإن (المحاكم الإسلامية) لما قامت ودعت إلى ما دعت إليه ووقع من الفتن في الصومال ما وقع ثم رأى شيخهم بعد وهو حاكمهم الآن أن يتوقف قالوا: عميلٌ للأمريكان! وكفروه وخرج الشباب عليه وهم الآن يقاتلونه ويقاتلون جنده حتى استُدعيت القوات الأفريقية وهي وثنيةٌ كافرة من أجل أن تقمع مَن يقول: لا إله إلا الله!

إذا أخرجوهم لن يعيدوهم! ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل:١٨].

يخدعونهم ويخدعون الأمّة ويسوقون الأمّة إلى حتفها، فإلى الله المشتكى.

إنَّ الأمورَ إذا الأحداثُ دبّرها ❊ دون الشيوخ ترى في سيرها خللاً.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- : (**ومما ينبغي أن يُعلم أن أسباب هذه الفتن تكون مشتركة فيرد على القلوب من الواردات ما يمنع القلوب عن معرفة الحق وقصده ولهذا تكون بمنزلة الجاهلية -والجاهلية ليس فيها معرفة الحق ولا قصده ولهذا تكون بمنزلة الجاهلية- والجاهلية ليس فيها معرفة الحق ولا قصده والإسلام جاء بالعلم النافع والعمل الصالح بمعرفة الحق وقصده.**

فيتفقُ أن بعض الولاة يظلم باستئثار فلا تصبر النفوس على ظلمه ولا يمكنها دفع ظلمه إلا بما هو أعظم فسادًا منه ولكن لأجل محبة الإنسان لأخذ حقه ودفع الظلم عنه لا ينظر إلى الفساد العام الذي يتولد عن فعله)اهـ.

وهذا ما هو واقع، إنَّ الناس جميعًا يخرجون لمقصدٍ واحدٍ يتواردون عليه ولكلٍ مظلمته ولكلٍ ثأره ولكلٍ مراده وقصده؛ فإذا حققوا المقصد تباينت الوجهات وتدابرت الاتجاهات وتخالفت القلوب ووقعت الفتنة.

فليست الفتنة فيما وقع وحده! وإنما الفتنة فيما هو آتٍ وهذا ما خُطط له، التنازعُ آتٍ والتدابرُ آتٍ والتقاتلُ آتٍ والدماءُ أنهارًا ستسيل! وإلى الله المشتكى وهو حسبنا ونعم الوكيل.

لهذا قال رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وسلم- : (**إنكم ستلقون بعدي أثرة؛ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**).

وعلى نقيض ما دلت عليه النصوص ودعا إليه السلف يدعو الشيوخ إلى التظاهر في الميادين!! ويخرجون على رءوس المتظاهرين، يدعون إلى احترام إرادة الشعب! بإجراء الانتخابات قبل صياغة الدستور، ويكرِّسون للحزبية التي حاربها الإسلامُ! وأذهب نورُ التوحيد ظلماتها منشغلين بالسياسة عن أصل الدعوة وحقيقة الإصلاح حتى صاروا حربًا على ما كانوا يدعون إليه من أنَّ الحُكم لله وحده وأنَّ السيادة له وحده؛ فصارت السيادة للشعب!! وينبغي احترامُ إرادته!! لا احترامُ دين الله وما يقضي به كتاب الله وما تدل عليه سنة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

إنَّ العَلمانيين والشيوعيين والليبراليين وهؤلاء ومَن لَفَّ لَفَّهُم، هؤلاء جميعًا أمرهم مكشوف لا يخفى على مسلم مهما ضعف علمُه وخَبَأ نورُ بصيرته، ولكنّ المصيبة أن يُمسخ الإسلام العظيم باسم الإسلام العظيم! وأن يُشوه دين الله العظيم باسم دين الله العظيم! وأن يُلبس الحق لباسُ الباطل!

فيأتون بهذا كله تدليسًا وتلبيسًا وسوقًا للأغرار المساكين من الذين اعتملت في نفوسهم عاطفة الدين وثارت في قلوبهم ثورة اليقين، يخدعونهم باسم تطبيق الشريعة! وهم ينحونها باسم السياسية!

يخدعونهم باسم تطبيق حكم الله! وهم في الحقيقة إنما يريدون حكم الديمقراطية لا حُكم الله العظيم!

يخدعون وهم مخدوعون ويحسبون أن البلد قد صارت معزولة! جزيرةً في محيطٍ هادرٍ لم تُكتشف بعد! ولم تطأها قدم مكتشف يعرفها بعد! فصاروا لا يضعون في المعادلة المؤامرات وما يُبيت بليل وما خُطط قبلُ فَنُفِّذَ بعد وما هم صائرون إليه وإلى الله المشتكى.

أخرجوا المسلمات العفيفات إلى مذاءات لا يُؤمن فيها على حياة، إذا أرادت الواحدة أن تقضي حاجتها فأين؟! وإذا أرادت أن تتوضأ لصلاة فأين؟! وأين تسجد راكعةً وساجدةً بين الأعين الظامئة والنفوس الذئبية المتطلعة في مذاءات لا يُؤمن فيها على حياة ولا يُحاط فيها دين؟!

وقد كانوا من قبل يستنكرون تبرج الحجاب فصاروا اليوم كدعاة الاختلاط والسفور، كانوا من قبل يستنكرون تبرج الحجاب فصاروا كدعاة الاختلاط والسفور.

تسامحوا في أعظم شعيرة من شعائر الإسلام، في أعظم ركن منه بعد التوحيد وهو الصلاة، وكانوا من قبل يكفرون تاركها ولو تركها مرةً واحدةً تكاسلاً وتهاونًا يقولون: إنه يكفر كفرًا أكبر، وعلَّموا طلابهم هذا العِلم المكنون! فكان الواحد من الطلاب إذا ذهب إلى البيت وأمّه من المصليات وأبوه لا يصلي والآن قناعةُ الشيخ لديه أنَّ أباه مرتد ولا يجوز أن يخلص إلى أمّه؛ فهي مسلمة مصلية، فيجعل كرسيًا على باب حجرة نوم أبيه وأمّه؛ فإذا أراد أن يخلُص الرجل إلى مخدعه منعه، ناهيًا عن المنكر! إذ كيف يخلُص هذا المرتد الكافر إلى تلك العفيفة المحصنة المسلمة!

واليوم هؤلاء الذين يخرجون -في الجملة- لا يصلون ولكنهم يدفعون الظلم وكفى!!

تسامحوا في شعيرة من أعظم شعائر الدين وهي الجمعة؛ فأخرجوا الناس حيث يخطب خطيبان ويصلي إمامان وحيث يُنصب مسرحٌ يُقال له على سبيل التدليل منصة يتوارد عليها ممثلون!! فإذا فرغوا أُقيم عليها قُدَّاس!! فإذا فُرغ منه يُؤتي بخطيب!!

والحركةُ من حوله موارة دءوب، والهتاف تنشق به الحناجر في مدٍ ثوري هادر، وأين إذا قلتَ لأخيك: أنصتْ؟! وأين مَن مسَّ الحصى؟! أين هذا؟! أين كلام رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-؟!

مَن يحمل وزر بطلان صلاة هذه الجموع؟! مَن أخرجهم يحمل وزر بطلان صلاتها.

يقولون: ليس إلا ما ورد من قول المالكية: يشترط المسجد للجمعة.

وقلنا لهم قبلُ: دعونا من قبل المالكية والشافعية وائتونا بأثارة من علم عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فإنَّ النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- كثرت أسفاره في السرايا وفي الغزوات -صلى الله عليه وآله وسلم- وفي الحج وفي العمرة، ائتونا بنص أنه جَمَّعَ بأصحابه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

ثم إذا أخرجتم الناس إلى الخلاء والفضاء، والمسجدُ على رمية حجر، فلِمَ لا يصلي الخطيب في المسجد ويصلي بصلاته مَن حضر؛ فإذا فاض الجمع كان مصليًا بصلاة مَن في المسجد؟!

لِمَ يُهجر المسجد وتُنصب المنصة لتُخطب عليها بدلَ خطبة الجمعة خطبةٌ ثورية؟! تنشق فيها الحناجر بالهتاف! لِمَ يُمسخ دينُ الله! على أيدي مَن يدَّعون اتباع سنّة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-؟!

مَن يحمل وزر بطلان صلاة هذه الجموع؟!

لقد أفسد هؤلاء طلابَ العلم، مسخوهم!! وأدوا الصحوة أو ما يُقال له صحوة! شوهوهم!! حرفوهم عن العِلم الحق والعبادة المستقيمة.

أفسدوا الحياة الدعوية وحرّفوا مسيرة أهل الإصلاح عن الصراط المستقيم.

وأكبر جناياتهم تشويه الإسلام باسم الإسلام! ومسخ الدين باسم الدين! وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

إنَّ هؤلاء الدعاة من القطبيين المتأخونين أو الإخوان القطبيين يخدعون المسلمين!

إنَّ هؤلاء الدعاة من القطبيين المتأخونين أو من الإخوان القطبيين يخدعون المسلمين ويغرسون النفاق والتقية في نفوس الناشئة.

كما قال (**صلاح الصاوي**) وليس هذا باسم له وإنما هو اسم حركي!! كـ(**محمد أحمد الراشد**) إخواني قطبي يُنَظِّرُ للإخوان على طريقة القطبيين، وهو من كبار دعاتهم ومن مُنظري جماعة الإخوان المسلمين القطبيين، يقول مقررًا لمذهب النفاق في (**الثوابت والمتغيرات**): (**ولا يبعد القولُ بأنَّ مصلحة العمل الإسلامي تقتضي بأن يقوم فريقٌ من رجاله ببعض هذه العلميات الجهادية -يعني التفجير والعمليات الانتحارية- ويُظهر النكير عليها آخرون! ولا يبعد تحقيق ذلك عمليًا إذا بلغ العمل الإسلامي مرحلةً من الرشد أمكنه معها أن يتفق على الترخص في شيء من ذلك ترجيحًا لمصلحة استمرار رسالة الإسلاميين**).

هو تكفيري جَلْد كما هو معلوم.

في المقابل مع هذه الشدة الشديدة، تجده عابثًا لاهيًا كالأطفال لا يدري ما يخرج من رأسه، يقول -فَضَّ الله فاه- وهو يعبث بعقيدة التوحيد ويعتذر لعبّاد القبور ويتأول لهم تأويلات سمجة يجعل الاستغاثة بالأولياء من التوسل المختلف فيه ويجعل غاية ما في الطواف بالقبور أنه بدعة ويقول: (**وفي طلب المدد طلبُ الدعاء والشفاعة إلى الله! فهذا يخرجه عن كونه شركًا!**).

أمثل هذا يُؤتمن على دين الله؟!! أمثل هذا متأهلٌ للكلام في دين الله؟! فضلاً عن قيادة الجموع من الشباب، يقودهم إلى منحرهم ليُذبحوا ذبح النِّعاج!

وعلى شاكلته كثير كشيخ الضلالة [٢]، ومَن لفَّ لفه ونحا نحوه من مشايخ الثغر ومَن كان معهم -عاملهم الله بعدله-.

أمثلُ هذا يُؤمن على دين الله؟! أمثلُ هذا يُؤتمن على قيادة المسيرة ورفع لواء الأمّة؟! أمثلُ هذا يُعاد العز للأمّة في سبيله؟!

هؤلاء دعاةُ المذلة للدين؛ لأن العز لا يُحصّل إلا باتباع كتاب الله وسنة رسول الله بفهم الصحابة ومَن تبعهم بإحسان على منهاج النبوة.

٢- هو (محمد عبد المقصود).

أما هذه الفرق فإياك بعدُ أن تتورع بارد الورع عن أن تحكم عليها أنها السبل التي ذكر رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- عندما خطَّ خطًا مستقيمًا وجعل على جنبتي الخط المستقيم خطوطًا قصيرة، قال: هذا سبيلُ الله. وهذه سبل على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إليها.

إياك أن تتورع عن الحكم على هذه الجماعات والفرق والأحزاب الدينية بأنه السبل، على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إليها، لا تتورع فهو قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

كنْ على امتداد الخط المستقيم، خطَّ خطًا مستقيمًا أوله عند رسول الله؛ فكن على امتداد الخط المستقيم، وأمّا مَن انشعب عن الصراط المستقيم، عن الخط المستقيم، عن الطريق القويم؛ فهذه سبل على رأس كل سبيل منها شيطان.

إنَّ الحقَّ واضحٌ وعليه نورٌ تأنسُ به القلوبُ وتطمئنُ به الأرواحُ، وأمّا الباطلُ فعليه ظلمةٌ ومبعثُ الحيرةِ؛ فاتقِ الله ربَّكَ، اتقِ الله واصبر ولا تستعجل، وإياك أن تغرَّك الكثرة؛ فإنَّ الله ما ذكر الكثرةَ في القرآن إلا ذمها!

الله -ربُّ العالمين- ما ذكر القلة إلا مدحها في كتابه المجيد ﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [الأنعام:١١٦].

لا يُضلكَ حتى يكونَ ضالاً في نفسه؛ فكلُّ مضلٍ هو ضالٌ في نفسه وليس كلُّ ضالٍ بمضلٍ، والله -ربُّ العالمين- بيّن أنهم من أهل الضلال والإضلال ﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [الأنعام:١١٦].

شحنوا القلوب بالبغضاء وأورثوا النفوس الكراهية ولم يُصَبِّرُوا الناس على الاستئثار بالحق الذي هو لهم طالبينه من ربهم؛ إنما دفعوا الناس بالبغضاء إلى أن وقع ما وقع ثم يقولون: ما نصنع؟! هذا أمرٌ قدري كوني!

لا يُذكر القدر إلا عند المصيبة، لا يُذكر عند المعصية، توبوا إلى الله وردوا الشعب إلى حقيقة الدين، علِّموا الناس ما جاء به النبي الأمين -صلى الله عليه وسلم-

أين حقيقةُ الدين في كل هذا؟! ممسوخة! مشوهة! مبدلة! مغيرة! يُزاد فيها وُينقص منها! وإلى الله المشتكى.

هذا المذكور الذي اتخذ اسمًا حركيًا له لا يُعرف إلا به وبإذنكَ وسماحكَ ابحث عن اسمه الحقيقي حتى تعلم خبيئةَ أمره كما بإذنكَ وسماحكَ ابحث عن الاسم الحقيقي لـ (محمد أحمد الراشد) من كبار منظري الإخوان القطبيين.

هذا وأمثاله من دعاة الفتنة يطرحون أطروحاتهم بإجمال وعموم على أنها معتقد أهل السنّة والجماعة باسم أهل السنّة والجماعة وأحيانًا باسم منهج السلف الصالح، احذرهم إنهم يذوفون لكَ السم في العسل، وما عندكَ من منهاج النبوة عاصمكَ بإذن الله -رب العالمين- عن الزيغ والضلال، عرفتَ فالزم، والله يكلؤكَ ويرعاكَ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له هو يتولى الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أمّا بعدُ:

فإنَّ النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في غزوة الخندق شغله القوم عن صلاة العصر حتى دخلت المغرب؛ فقال -صلى الله عليه وآله وسلم-: (**شغلونا عن الصلاة الوسطى ملأ اللهُ بيوتهم نارًا**).

هذا قياسٌ مع الفارق! شُغلنا عما نحن بصدده من الاستعداد لشهر رمضان وأخذ الأهبة للدخول فيه بكامل العُدة ابتغاء المغفرة والرضوان.

ولا بأسَ فإنَّ الأمور تُقدر بمقاديرها، ولكلِ مقامٍ مقال، والله المستعان وعليه التكلان.

بيّن لنا نبينا -صلى الله عليه وآله وسلم- أنّ في الجنة بابًا يُقال له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون؛ فإذا دخل منه الصائمون أُغلقَ فلم يدخل منه أحدٌ بعدهم.

وبيّن لنا نبينا -صلى الله عليه وآله وسلم- فضل صيام شهر رمضان فقال: (**مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**).

وأخبرنا عن فضل قيامه؛ فقال -صلى الله عليه وآله وسلم-: (**مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**).

وأخبرنا الله -رب العالمين- عن فضل شهر رمضان وأنه -تبارك وتعالى- فضَّله -لنزول القرآن فيه- بنزول القرآن فيه.

وأنزل الله -رب العالمين- القرآن في ليلة القدر منه، وجعلها الله -رب العالمين- خيرًا من ألف شهر.

وأخبر رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: (**أنّ مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**).

والله -رب العالمين- هو الرحمن الرحيم، قد لا يستطيع المرء لمرضٍ أو عارضٍ أَلَمَّ أن يصوم، والمرضُ مرضان: مرضٌ لا يُرجى برؤه، ومرضٌ عارضٌ يُرجى برؤه؛ فإذا أَلَمَّ مرضٌ لا يُرجى برؤه -أي

لا يُرجى كشفه وذهابه وشفاؤه التام منه- فهذا يُفطر المرء ويُطعم عن كل يومٍ مسكينًا، وكان أنس -رضي الله عنه- لمّا كبر يُفطر شهر رمضان فإذا كان في آخر يومٍ منه جمع ثلاثين مسكينًا فأطعمهم وجبةً واحدةً من أوسط ما يُطعِم أهله.

وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس، ويُحصّل هو بنيته ثوابَ صيامِه إذ قطعه عنه عذرٌ كما قال الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- في حق مَن كان له عبادةٌ وقطعه عنها مرضٌ أو سفرٌ، كُتب له ما كان يعمل صحيحًا مُقيمًا، وهذا من فضل الله على أمّة محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-.

مَن كانت له عبادة، مَن كان له وِردٌ بالليل وتلاوةٌ بالنهار، مَن كان له صيامٌ وقيام، وصلةُ رَحِم وسعيٌ بين المتخاصمين للإصلاح إلى غير ذلك من وسائل العمل الصالح وصوره؛ فقطعه عنها قاطعٌ لا يُدفع كمرضٍ أو سفرٍ كُتب له ما كان يعمل من العمل الصالح وهو صحيحٌ مقيمٌ، والله -رب العالمين- هو أكرم الأكرمين.

فالمرضُ الذي لا يُرجى برؤه يُطعَم عن كل يومٍ من أيامِ رمضانَ مسكينٌ وجبةً واحدةً من أوسط ما يُطعِم المرء أهله.

وأمّا المرضُ الذي يُرجى برؤه فهذا يُقضى عند الشفاء منه.

النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بيّن لنا فضل شهر رمضان، وأخبرنا أن مَن انسلخ عنه رمضان فلم يُغفر له أرغم اللهُ -رب العالمين- أنفه! -والرَّغام: التراب- يدعو عليه بالذل، (**رَغِمَ أنفُ عبدٍ انسلخَ عنه رمضانُ فلم يُغفر له، قل: آمين؛ فقال: آمين**) الداعي جبريل، والمُؤَمِّن رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

فهذه فرصةٌ عظيمةٌ ستُشغلُ عند كثيرٍ من الناس وعند جماهير المسلمين بالجهاد الأكبر بالخروج في الميادين!! بالصراخ! بإخراج النساء! المحجبات المخدرات من خُدورهن للشوارع وقوارع الطرق نهبًا للعيون الظامئة.

فليُشغل عند أهل السنّة بطلب الرضوان والرحمة، وبالعبادة والذكر وتلاوة القرآن.

فلنتب إلى الله، علينا أن نرد المظالم إلى أهلها، والتوبةُ لابد فيها من: الإخلاص، والإقلاع عن الذنب، والندم على ما وقع منه، والعزم على عدم المعاودة، ورد الحقوق إلى أربابها إن كان الذنب متعلقًا بحقوق العباد، وأن تقع التوبة في الزمان الذي تُقبل منه على مستوى الفرد قبل أن تبلغ الروحُ الحلقوم، وعلى مستوى الدنيا قبل أن تطلع الشمسُ من مغربها.

فلنؤدي الحقوق إلى أصحابها، ولنتب إلى ربنا -تبارك وتعالى- توبةً نصوحًا عسى الله -رب العالمين- أن يغفر لنا.

وعلينا أن نتعلم ما يلزمنا من فقه الصيام، ينبغي علينا أن نعلم أنه يتوجب علينا أن نُبَيِّتَ النيةَ من الليل.

والعلماء لتبييت النية لكل يومٍ من أيامِ رمضان، أو بنيةٍ واحدةٍ للشهر كله على فريقين:

١. فمنهم مَن يقول: لابد من تبييت النية لكل يوم من أيام رمضان.

٢. ومنهم مَن يقول: إنه إذا بَيَّت النية لرمضان كله؛ فقيامه لسحوره هذا نيةٌ ظاهرةٌ حتى ولو لم يقم فالنيةُ متصلة إلا أن يقطعه قاطعٌ بعذر ثم بعد ذلك يريد أن يُعاودَ -بزوال العذر- فعليه أن يجدد النية مرةً أخرى، وهذا أعدلُ الأقوال.

وعلينا أن نُعجل الإفطار وأن نُؤخر السحور؛ فما تزال الأمّة بخير ما عَجَّلَت الفِطر كما قال الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- وأن نُؤخر السحور.

وينبغي علينا أن نجتهد في تعلم الأذكار التي تُقال في الأحوال عند الإفطار وما يتعلق برؤية الهلال، ثم ما يكون في جميع الأحوال لكي نكون متبعين للنبي الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم-.

علينا أن نلتفتَ إلى أمرٍ كبيرٍ، وهو قول النبي الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم-: **(مَن قامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه)** وذكر رمضان كله.

الليلة الأولى من ليالي رمضان قد يفوت قيامها على كثير من المسلمين إما لجهلهم بأنها من رمضان؛ لأنه إذا ثبت رؤية الهلال فقد دخل رمضان، فمنذ دخل الهلالُ فرمضان من غروب الشمس من ليلتهم، وإذا رُؤيا هلالُ شوال، فهذا من شوال وخرج رمضان.

فعلينا أن نلتفتَ إلى هذا الأمر الكبير، وأن الناس ربما تقاعسوا عن القيام في أول ليلةٍ من ليالي رمضان على أنها ليست من رمضان وربما اعتقدوا تقديم الصيامِ على القيام فيقولون: لا نقوم حتى نصوم فيصومون أول يوم ويبدءون القيام من الليلة الثانية من شهر رمضان فلا يكونون داخلين في حديث النبي **(مَن قام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه)**

فتحرَّى ثبوت الهلال؛ فإذا ثبت دخول الشهر فقم ليلةَ أول يومٍ منه فهذا من رمضان، هذه أول ليلةٍ من ليالي رمضان.

علينا أن نجتهد في أن نكون وراء أئمتنا في مساجدنا حتى يفرغوا من الصلاة، ومعلومٌ أن السنّة ألا يُزاد على إحدى عشرة ركعة كما في حديث عائشة -رضي الله عنها- أو على ثلاث عشرة ركعة كما قال ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما-.

حديث عائشة: (**ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يزيد في رمضان ولا في غير رمضان على إحدى عشرة ركعة**)

أمّا الزاعقون الصارخون في أجواف الليالي؛ فهؤلاء ليسوا على هدي السلف ولا من السلف في قبيلٍ ولا دَبيرٍ: سكينةٌ واطمئنان، ورفقٌ وحِلم، وخشوعٌ وتُؤَدَة، وإخْباتٌ وإنابة، وتدبر فيما يُتلى.

وأمّا الأئمة فإنهم يُراعون أحوال المصلين لأن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (**مَن صلى مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيامُ ليلةٍ**) وفي رواية: (**كُتب له قيامُ ليلته**).

فيراعي الإمام حال المأمومين، فإذا تواطئوا على الإطالة أطال بهم، وإذا وجد فيهم ضعيفًا لا يتحمل فليرفق به، ومع ذلك لا يتنازل عن السنّة ويأتي بها على وجهها كما بينتها النصوص.

ثم كان رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يلقاه جبريل في كل ليلةٍ من ليالي رمضان يدارسه القرآن.

كثيرٌ من المسلمين يحسب أن العبادة في رمضان في الليل منه أنها وَقْفٌ على القيام فإذا صلى مع الإمام ترك الإمام قبل أن ينصرف؛ فلا يُكتب له قيامُ ليلة! ثم يذهب هو وقد يُشغل فلا يصلي بعدُ وإذا صلى فليس عنده نصٌ من رسولِ الله أنه قام ليلته كما لو صلى مع الإمام حتى ينصرف.

هنالك وسائل من وسائل الخير في رمضان:

البذل والإحسان، كان رسولُ الله أجودَ الناس، وكان أجودَ بالخير من الريح المرسلة، وكان أجودَ ما يكون في رمضان -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

مَن فطَّر فيه صائمًا كان له مثل أجره كما قال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-.

علينا أن نجتهد في تلاوة القرآن فهي من عبادة الليل في رمضان.

وكذلك مدارسة القرآن، فإن جبريل كان يدارس النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- القرآن في كل ليلة من ليالي رمضان، فلمّا كان العام الذي قُبض فيه دارسه القرآن مرتين -صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الذكر والإنابة والتفكر في ملكوت السماوات والأرض هذا كله من العبادة في رمضان، وهنالك نصٌ دلنا علينا رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بفضلٍ عظيمٍ فيه (**مَن صلى الصبحَ في جماعة فقعد يذكر**

الله -تبارك وتعالى- في الموضع الذي صلى فيه حتى تطلعَ الشمسُ ثم قام فصلى ركعتين كُتب حجةً وعمرةً تامةً تامةً تامةً) فهذا أجرٌ كبيرٌ.

العمرة في رمضان قال فيها الرسولُ -صلى الله عليه وآله وسلم- : (**عمرةٌ في رمضانَ كحجة معي**) -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

وأصلُ ذلك تخليص القلب من شوائبه: من شركه، من بدعته، من غِلّه، من حِقده، من حسده، من دَغَلِه، مما يشوبه، مما يُكَدِّر صفوه، إخلاصُ القلبِ لله لأن العبادات إنما تتأسس على هذا الأصل الأصيل من الإخلاص لله.

نسألُ اللهَ -رب العالمين- بأسمائه الحسنى وصفاته المُثلى أن يجنبنا مُضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يُحسن خِتامنا أجمعين، اللّهم أحسن خِتامنا أجمعين، اللّهم أحسن خِتامنا أجمعين، اللّهم أحسن خِتامنا أجمعين يا رب العالمين ويا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وفرَّغه/

أبو عبدالرحمن حمدي آل زيد المصري

٥ من رمضان ١٤٣٢هـ، الموافق ٢٠١١/٨/٥م.